السياسة الخارجية في إيران والمملكة العربية السعودية: الاقتصاد والدبلوماسية في الشرق الأوسط

Foreign Policy in Iran and Saudi Arabia: Economics and Diplomacy in the Middle East

روبرت ماسون
Robert Mason

مراجعة: محمد زهران-Reviewed by Mohammed Zahran

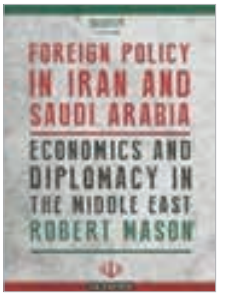

مؤلف الكتاب هو روبرت ماسون أحد قدامى المحاربين في فيتنام، ألف عددًا من الكتب، منها كتابه الأكثر مبيعًا "تشيكن هوك"، وهو باحث في كلية العلوم الاجتماعية والدراسات الدولية في جامعة "إكستر" بالمملكة المتحدة، نال درجة الدكتوراه في سياسات الشرق الأوسط من جامعة إكستر.

سلط ماسون الضوء في هذا الكتاب على أثر العوامل الاقتصادية –ومن أبرزها السياسة النفطية– في عملية صنع القرار من جانب إيران والسعودية فيما يتعلق ببسط النفوذ على المنطقة.

وأشار إلى أن إيران لجأت إلى بديل للعلاقات مع الغرب، وهذا البديل تمثل في الفاعلين من غير الدول؛ حيث عقدت إيران علاقات مع جماعات مقاومة شيعية، مثل حزب الله، وجماعات مقاومة سنية، مثل حركة حماس، كما أن لديها وكلاء، مثل الجهاد الإسلامي الفلسطيني، إلى جانب سوريا... كل ذلك يشكل محور المقاومة الذي يعد تحالفًا ضد سيطرة الولايات المتحدة على الشرق الأوسط.

ونوه إلى أن محور المقاومة يهدف إلى منع جهود حل إنشاء دولتين حلًا للصراع القائم بين إسرائيل وفلسطين، وكذلك إلغاء معاهدات السلام بين مصر وإسرائيل، والأردن وإسرائيل بغية تعزيز نفوذها.

وتحدث ماسون عن دور إيران قائلًا إنها تعدّ لاعبًا مهمًا في محور المقاومة؛ لأنها تدعم مجموعة كبيرة من الجهات الفاعلة من غير الدول من خلال قوات القدس، وهي وحدة تضم 15000 من الحرس الثوري الإيراني في 2007، وهي تعمل مع حزب الله في لبنان وحماس والجهاديين الإسلاميين في غزة والضفة الغربية.

وأوضح مخاوف واشنطن من إيران بقوله: إن واشنطن تخشى من هدف إيران نحو إضعافها وتعزيز سيطرتها على الخليج الفارسي، ونقل أسلحة الدمار الشامل إلى الجماعات المتطرفة الموجودة في دول الخليج والشام.

لذا تمثل علاقة إيران بحزب الله وحماس باعث قلق من انتشار الأسلحة النووية من جانب إيران.

وأشار ماسون إلى وجود نزاع بين إيران والإمارات (ودول مجلس التعاون الخليجي) حول طنب الكبرى وطنب الصغرى وجزر أبو موسى، وهذا يؤدي إلى وجود عائق أمام تحسين علاقة إيران بالرياض.

وعرّج ماسون على طبيعة العلاقة بين مصر وإيران، مشيرًا إلى أن كلًا من مصر وإيران تريدان إعادة إرساء علاقات دبلوماسية مع بعضهما بعضًا، فإيران ترى مصر عضوًا مؤثرًا في عملية السلام في الشرق الأوسط، وهي أكبر جيش في إفريقيا والعالم العربي، وفي المقابل ترى مصر أن إيران تؤدّي دورًا مهمًا في المنطقة، ولكن كل ذلك تعوقه اعتراضات السعودية.

وأشار إلى أن العلاقة بين مصر وإيران كانت قد شهدت جانبًا من التوتر إثر معاملة إيران قاتلي السادات

أبطالًا، وربما تكون إيران طرفًا في عملية الاغتيال، بحسب ما يرى ماسون.

وأضاف في هذا السياق أن إدارة أوباما لجأت إلى مساعدات من الكونغرس الأمريكي لمصر للتصدي لأية محاولات لجذب مصر بحيث تكون حليفًا لإيران.

وأوضح ماسون أن إيران تشارك في منظمة التعاون الاقتصادي، ومنظمة شنغهاي للتعاون، ومقر منظمة التعاون الاقتصادي في طهران، وتضم أفغانستان وأذربيجان وإيران وكازاخستان وقيرغيزستان وباكستان وطاجيكستان وتركيا وتركمانستان وأوزبكستان.

وأكد أنها لا تمثل ثقلًا اقتصاديًّا، ولكنها استمرّت 50 عامًا، وتسعى إيران إلى تعزيز التعاون في مجال السياحة لأعضاء منظمة التعاون الاقتصادي، ومنظمة دي-8 للتعاون الاقتصادي، التي تضم بنغلادش ومصر وإندونيسيا وماليزيا ونيجيريا وباكستان، لتنشيط النمو الاقتصادي، ولكون ذلك يمثّل جانبًا من تخفيف عزلها الدولي.

وألمح إلى أن سبب تعثر الحوار بين إيران والاتحاد الأوروبي يعزى إلى أن الاتحاد الأوربي يتهم إيران بعدم احترام حقوق الإنسان والاتفاقيات النووية.

وتحدث ماسون عن إستراتيجية إيران لما بعد فرض العقوبات عليها، قائلًا إنه بعد قيام مجلس الأمن الدولي التابع للأمم المتحدة بتوقيع عقوبات ضد إيران في عام 2006 بحثت الأخيرة عن دول بديلة لتتحالف معها، وهو الذي غيّر من الإستراتيجية الإقليمية لإيران في منطقة الخليج.

وقد لجأت إيران لإرساء علاقات ثنائية مع دول أمريكا الجنوبية، مثل التي تمثل ورقة ضغط على السعودية في الأوبك، وذات رؤية أيديولوجية ضد السعودية، لما تتمتع به من موارد نفطية مهمة، الأمر الذي مكّن إيران من تحدي سياسة السعودية، وكذلك هيمنتها في الأوبك من خلال تلك الإستراتيجية "الإستراتيجية الاقتصادية الإقليمية لإيران في أمريكا الجنوبية".

وألمح ماسون إلى أن "المجلس الأعلى للأمن القومي" في إيران انتقل من عملية تسهيل صنع القرار في أثناء حرب العراق وإيران إلى كونه المحرك الرئيس لعملية صنع القرار وتنفيذ السياسات.

ويرى أن السياسة الخارجية في المملكة العربية السعودية وإيران موضوعية ولها أهمية كبيرة، نظرًا لتدهور العلاقات بين الرياض وطهران منذ عام 2015. وعلاوة على ذلك، فإن ثمة تغيرات سريعة سواء في السياسة الخارجية السعودية، التي أصبحت أكثر حزمًا وذات طابع أحادي، أو في العلاقة الإيرانية مع المجتمع الدولي بعد انتخاب حسن روحاني رئيسًا لإيران.

وتطرق ماسون إلى الحديث عن السياسة الخارجية للسعودية قائلًا إن السعودية كانت من الدول القليلة التي وقفت ضد مطالب أمريكا بقطع العلاقات مع وزارة الحكم المحلي في فلسطين عندما فازت حماس في الانتخابات بقطاع غزة.

وأشار إلى أن سياسة السعودية في لبنان تعكس الحاجة أولًا إلى استقرار الحكومة اللبنانية ودعمها، وتجنب المزيد من الصراع والكوارث الإنسانية، ثم تنفيذ حملة شاملة للإطاحة بحزب الله، بما أن اتفاقية مكة قد باءت بالإخفاق.

وذهب ماسون إلى أن سياسة السعودية تجاه حماس ليست مجرد مساعدات إنسانية، بل تسير في نطاق سياسي، فحركة حماس مجموعة سنية وذات صلات بالرياض.

واستطرد حديثه: في أثناء إدارة جورج دبليو بوش كانت السعودية من الدول القلائل التي سعت إلى تطبيع العلاقات مع إسرائيل.

وقدّمت السعودية عرضًا في عام 2000 للمساعدة في إنشاء دولة فلسطينية، وأصبح هذا العرض مبادرة السلام العربية 2002، وجُدّد في عام 2007 حيث طلب بوش إنشاء دولة فلسطينية في نهاية فترة رئاسته 2009.

وشملت الخطة نقل مبلغ 10 مليارات دولار (5 مليارات دولار بعد قبول المبادرة، و5 مليارات دولار ستدفع على مدار 3 سنين قادمة) من دول مجلس التعاون الخليجي إلى إسرائيل.

وألمح ماسون إلى نقطة مهمّة وهي أن التهديدات من جانب الجماعات المتطرفة والإخوان المسلمين زادت وتيرتها منذ عام 2001، لذا لجأت السعودية إلى أن تكون خارج المشهد في دعمها لهم، بدلًا من مبادراتها الواضحة للعيان والتي قد تؤدي إلى مهاجمة أو تقويض شرعية آل سعود.

وتحدث الكاتب عن مكانة السعودية في مجلس التعاون الخليجي: (موقعها الجغرافي، والمساحة الكبرى التي تمثلها في المنطقة، واحتواؤها على الحرمين الشريفين، كما أنها عضو مؤثر في منظمة الأوبك، ومقر مجلس التعاون يوجد بها، فضلا عن كونها أكبر اقتصاد في هذه الدول، ولديها علاقة وثيقة مع واشنطن).

وأضاف قائلًا إنه هذا أحدث نوعًا من الانقسام بين دول المجلس حول السيطرة السعودية الإقليمية.

وتحدث ماسون عن وجود توتر في العلاقة بين السعودية والإمارات، إذ ذكر أن حكومة الإمارات التي لديها عائدات كبيرة من النفط نشرت كتابًا إلكترونيًّا عام 2006 أشارت فيه إلى أنها تريد إعادة المفاوضات بشأن ترسيم حدودها مع السعودية.

ولفت الباحث النظر إلى ظهور التوتر من جانب دول المجلس الأخرى، مثل قطر عقب اتهام وزير الطاقة القطري السعودية بعدم تقديم توضيح بشأن المشروع المقدر قيمته بمليارات الدولارات، المعني بتقديم الغاز القطري إلى الكويت في 2006.

وأضاف ماسون أن العلاقة المتوترة بين السعودية وقطر ازدادت خلال الثورات العربية، لأن قطر موطن يوسف القرضاوي، وهو عضو مؤثر لجماعة الإخوان المصرية، وناقد للمفاهيم السلفية للمملكة العربية السعودية.

ونوه إلى أن ثورات الربيع العربي أظهرت حقيقة أن القبائل اليمنية هي مخلصة للمساعدات السعودية أكثر من إخلاصها للسعوديين أنفسهم.

كما ان تلك الثورات أيقظت الحكومة السعودية بإمكانية عدم الاعتماد على أمريكا في البقاء على الساحة، لذا سعت لإنشاء تحالف جديد للدول السنية بتقديم اقتراح للأردن والمغرب بدخول مجلس التعاون بحسب قول ماسون.

وتساءل ماسون عن سبب عدم سماح السعودية دخول مصر في هذه الخطة مع أنها أصبحت مستقرة عقب الانتخابات الرئاسية، وقد يزيد هذا من الاستقرار في المنطقة، ويعزز من التنمية الاقتصادية لمصر، وسيحرم إيران من حليف إقليمي هي في أمس الحاجة إليه.

وألمح إلى أن السعودية تشجع السلفيين في مصر الذين يعارضون فكرة التحالف الوثيق مع إيران.

وتحدث الكاتب عن ردة فعل الرياض ضد بشار في أعقاب ثورات الربيع العربي، فالسعودية اتخذت خطوات غير مسبوقة، متمثلة في استدعاء سفيرها لدى سوريا للتشاور، بسبب ما قام به بشار في أثناء الثورات العربية ضد شعب سوريا.

وذكر أن نمو العلاقات بين المملكة العربية السعودية والصين أثارت القلق في الولايات المتحدة الأمريكية، التي ترى أن وجهة نظر الصين الجغرافية الاقتصادية مماثلة لتلك التي كانت عليها اليابان الإمبريالية خلال ثلاثينيات القرن الماضي.

وأشار إلى أن السعودية تتجنب المساس بأسواق النفط نظرًا لمصالحها المشتركة مع دول أخرى، ولكن لأسباب خارج إرادتها يمكنها أن تهز عرش أسواق النفط.

في هذا الكتاب أراد ماسون التركيز على حقيقة أن السياسة الخارجية لدى إيران والسعودية تنبع من محاولة تحقيق التوازن بين العوامل الاقتصادية والأيديولوجية والجيوسياسية، وأن تلك السياسة تتمحور حول عوامل تاريخية، ورغبة كلا البلدين في السيطرة والإمساك بزمام الأمور في منطقة الشرق الأوسط.